

جواب سؤال

المستجدات السياسية في تشاد

السؤال: أعلن الجيش التشادي يوم ٢٠/٤/٢٠٢١ مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي في معارك مع متمردين في شمال البلاد قادمين من جنوب ليبيا، وأعلن عن تشكيل مجلس عسكري يتولى رئاسته ابن الرئيس المقتول رئيس الحرس الرئاسي محمد ديبي لفترة انتقالية ١٨ شهراً، وأعلن عن حل البرلمان والحكومة وحظر التجوال مساء وإغلاق منافذ البلاد الجوية والبرية. ودعا جميع قوى المعارضة للحوار. فما حقيقة ما جرى ويجري في تشاد وإلى أين تتجه الأوضاع؟ وما هي ارتباطات القوى المتمردة؟ وما علاقة ذلك بالصراع الدولي؟

الجواب: لكي يتضح الجواب نستعرض الأمور التالية:

١- لقد جرت انتخابات رئاسية في تشاد يوم ١١/٤/٢٠٢١ وقاطعتها قوى المعارضة متهمه الرئيس ديبي بالتزوير وبتكسيم الأفواه ومنع قادتها من الترشح، وقد أعلن يوم ١٩/٤/٢٠٢١ عن فوز الرئيس إدريس ديبي بنسبة ٧٩,٣٢% ليحكم البلاد ست سنوات أخرى قبل أن يصاب في المعارك مع المتمردين بساعات. وقد أعلنت جبهة الوفاق من أجل التغيير يوم ١٢/٤/٢٠٢١ عن رفضها للانتخابات وحركت قواتها المتمركزة في جنوب ليبيا نحو العاصمة التشادية إنجامينا. فقد أعلن زعيم الجبهة محمد مهدي علي البدء بالتحرك، وتقدر قواته بنحو ١٥٠٠ شخص دخلوا على متن مئات السيارات الرباعية الدفع. حيث دخلت تشاد من مدينة الجفرة جنوبي ليبيا حيث مقرها إلى شمال تشاد يوم ١٢/٤/٢٠٢١ فدخلت ولاية تبستي ثم دخلت ولاية كانم التي تبعد ٤٠٠ كلم عن العاصمة إنجامينا، وأعلنت على صفحتها في موقع فيسبوك أن "الانتخابات التي جرت كانت مهزلة ودعت الشعب لمساندتها لتحرير وطنهم تشاد وللضغط على الديكتاتورية" وأعلنت استيلاءها على حاميات بالقرب من الحدود الليبية بدون مقاومة.

٢- قال المتحدث باسم الجيش التشادي الجنرال عازم برماندوا أغونا عبر التلفزيون التشادي الرسمي يوم ٢٠/٤/٢٠٢١: "إن رئيس الجمهورية إدريس ديبي إيتنو لفظ أنفاسه الأخيرة مدافعا عن وحدة وسلامة الأراضي في ساحة المعركة.. ونعلن ببالغ الأسى للشعب التشادي نبأ وفاة مارشال تشاد الثلاثة ٢٠ نيسان/أبريل ٢٠٢١"، كما أعلن عن تأسيس مجلس عسكري وتعيين محمد ديبي ابن الرئيس المقتول رئيسا للمجلس وأعلن عن حل البرلمان وحل الحكومة. وقال المتحدث باسم الجيش "إن المجلس العسكري الانتقالي برئاسة محمد إدريس ديبي يضمن الاستقلال الوطني وسلامة الأراضي والوحدة الوطنية واحترام المعاهدات والاتفاقات الدولية ويضمن مرحلة انتقالية مدتها ١٨ شهرا تجري بعدها انتخابات حرة وديمقراطية وشفافة"، وأشار إلى "فرض حظر التجول من السادسة مساء حتى الخامسة صباحا وإغلاق الحدود البرية والجوية للبلاد"، وأعلن عن "ميثاق انتقالي يمنح الرئيس الانتقالي صلاحيات واسعة ويلغي الدستور". وهكذا فإن حكومة وبرلمان ودستور النظام تلغى من قبل المؤسسة العسكرية للنظام ومن الرجال أنفسهم القائمين على الحكم سوى ديبي المقتول. إذ إن غالبية الضباط الكبار هم من عائلة وأقارب الرئيس المقتول من قبيلة

الزغاوة التي لها امتدادات في تشاد وليبيا والسودان. وهي قبيلة منقسمة على نفسها، فهناك من المتمردين من ينتمي لهذه القبيلة. ويذكر أن أولاد عمومته هم الذين قادوا هجوما في بداية عام ٢٠١٩ بقيادة تيمان إيرديمي باسم اتحاد قوى المقاومة. وكادوا أن ينجحوا في تمردهم لولا التدخل الفرنسي. علما أن المجلس العسكري الجديد الذي شكل برئاسة محمد دبيي مكون من ١٥ ضابطا بينهم ٨ من قبيلة الزغاوة. وقد أعلن المتمردون رفضهم القاطع للمجلس العسكري الانتقالي، وقال الناطق باسم المتمردين "قواتنا في طريقها إلى إنجامينا لكننا سنترك ما بين ١٥ ساعة إلى ٢٨ ساعة لأبناء دبيي لكي يدفنوا والدهم وفق العادات". وتعهدوا بمواصلة تمردهم حتى يصلوا العاصمة.

٣- وإدريس دبيي نفسه قاد حركة تمرد عام ١٩٩٠ حتى استولى على الحكم في تشاد وأسقط حسين حبري (١٩٨٢-١٩٩٠) الذي انقلب على فرنسا وأصبح عميلا لأمریکا. لقد كان دبيي قائدا للجيش فقاد تمردا بدعم من فرنسا حتى وصل إلى الحكم، وارتبط بفرنسا ارتباطا وثيقا حتى تحمي عرشه ويبقى في السلطة. وكان لفرنسا الدور الأكبر في مساعدة دبيي في هزيمة التمردات التي لم تتوقف. ففي شباط ٢٠٠٨ تم صد هجوم المتمردين بفضل الدعم الفرنسي عندما وصلوا إلى أبواب القصر الرئاسي في العاصمة إنجامينا. وكان دبيي نفسه يشارك جنوده في مجابهة التمردات منذ عام ٢٠٠٦. ولكن كان لفرنسا الدور الأكبر في إحباط حركات التمرد السابقة. ويظهر أن فرنسا هذه المرة لم تتحرك بعد لصد التمرد الأخير مباشرة، وأن دورها كان مساندا لقوات دبيي. إذ إن "جبهة التناوب والوفاق" وهي نفسها "جبهة التغيير والوفاق" وتعرف اختصارا باسم "فاكت" قد ذكرت في بيانها ونشر على صفحة "أفريقيا بوست" يوم ٢٠٢١/٤/١٥ أن "الجبهة دعت فرنسا إلى الحياد مشيرة إلى أن تحليق طائرات فرنسية فوق مواقعها يمكن تفسيره على أنه دعم للرئيس التشادي حيث يلاحظ أنه بعد كل مرور تحليق للطائرات الفرنسية يعقبه قصف من قبل طيران الحكومة". ويظهر أن فرنسا رأت أن قوات دبيي كافية لصد الهجوم، ولكنها تفاجأت بمقتله وكان ضربة موجعة لها.

٤- إن مقتل دبيي يعد خسارة كبيرة للمستعمر الفرنسي. فقال بيان قصر الإليزيه بعد ساعات قليلة من مقتله "لقد فقدت فرنسا صديقا شجاعا.. فرنسا تشدد على أهمية أن تتم المرحلة الانتقالية في ظروف سلمية وبروح من الحوار مع كل الأطراف السياسيين والمجتمع المدني والسماح بالعودة السريعة إلى حكومة تشمل الجميع وتعتمد على المؤسسات المدنية. تعرب تمسكها الثابت باستقرار تشاد ووحدة أراضيها. تتقدم فرنسا بالتعازي إلى عائلة الرئيس دبيي والشعب التشادي برمته". وقد دعا وزير الخارجية الفرنسي لودريان "إلى مرحلة انتقالية عسكرية محدودة تؤدي إلى حكومة مدنية وجامعة"، فهنا تعلن فرنسا تأييدها للمرحلة الانتقالية وبالتالي للسلطة التي تولت زمام الأمور. وأعلن الناطق باسم الحكومة الفرنسية جابريل آتال أن "الرئيس ماكرون سيشارك في جنازة الرئيس التشادي الراحل دبيي". (فرانس برس ٢٠٢١/٤/٢١) مما يدل على مدى أهميته للمحافظة على نفوذها بل استعمارها في تشاد. وكذلك تأتي مشاركته في الجنازة للحديث مع ابن الرئيس المقتول وغيره من القادة الجدد للتأكيد على ولائهم لفرنسا.

٥- واهتمت الصحف الفرنسية بموت دبيي على صفحاتها الصادرة في اليوم التالي من مصرعه؛ فذكرت صحيفة لاكاروا أن "وفاة دبيي تعتبر ضربة موجعة للدبلوماسية الفرنسية"، وقالت صحيفة ليبراسيون "إن فرنسا باتت محرومة من دبيي بعد وفاته يوم أمس. إنه كان نتاجا للإدارة العسكرية الفرنسية وحليفا لفرنسا في المنطقة"، وقالت "لكن الأكيد هو

أن عملية برخان العسكرية الفرنسية والتي باتت تعاني من ضعف شديد في الآونة الأخيرة توجد اليوم في وضع صعب". وتساءلت عما إذا كانت هناك قوى خارجية تقف وراء المتمردين. فالفرنسيون يدركون أن هناك قوى كبرى تقف وراء حركات التمرد. إذ إن بلادهم في حالة حرجة في المنطقة وكادت أن تسحب قواتها من هناك بسبب الخسائر التي تتكبدها من دون أن تحقق انتصارا منذ تدخلها المباشر في المنطقة عام ٢٠١٤ بعد الانقلاب الذي حصل في مالي عام ٢٠١٢ على يد ضباط عملاء لأمريكا. ومن ثم قام ضباط موالون لأمريكا العام الماضي، عام ٢٠٢٠ بانقلاب. وفي شمال تشاد هناك ليبيا تعمل أمريكا على بسط نفوذها فيها. فأصبح وضع فرنسا قلقا في المنطقة.

٦- إن تشاد وغيرها من دول أفريقيا من ناحية دولية تعتبر دولة مستقلة، ولكنها في الحقيقة مستعمرة فرنسية كما كانت قبل نيلها الاستقلال الشكلي عام ١٩٦٠ من فرنسا. فقوات المستعمر الفرنسي ترابط فيها وجنود الجيش التشادي يقاتلون في سبيل فرنسا ومصالحها الاستعمارية في منطقة الساحل، وثرواتها وأموالها تذهب لفرنسا، حيث إن عملتها مع عملة ١٣ دولة أفريقية أخرى مرتبطة باليورو الأفريقي الذي كان سابقا الفرنك الأفريقي حيث تذهب نصف أموال تشاد إلى البنك المركزي الفرنسي. وتنشر فرنسا ٥١٠٠ جندي بعدما كانوا قبل سنة ٤٥٠٠ جندي في تشاد في إطار عملية باسم قوة برخان لمكافحة ما يسمى بالإرهاب، وتشارك تشاد بجانبها في أكبر قوة عسكرية من قوات دول الساحل المشكلة منها ومن موريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر بإشراف فرنسا لحفظ النفوذ الفرنسي في غرب ووسط أفريقيا وخاصة في مالي، ومع ذلك فهي بين الأمل والاستيئاس من الانتصار وحتى البقاء في المنطقة، فوجودها مهدد بشكل جدي، إذ إن أمريكا تلاحقها في المنطقة كلها. وبدأت ترتفع الأصوات بالمطالبة بسحب هذه القوة بسبب الخسائر في الأرواح بين الجنود الفرنسيين حيث ارتفع العدد إلى ٥٠ قتيلًا حسب الإحصاءات الرسمية. وهي تعمل على تقوية قوات ما يسمى بقوات الساحل لتقاتل نيابة عنها وتطلب من دول أوروبية المساعدة، كما أنها تستعين بالإمارات لتمويلها. ولكن فقدانها لديبي يعتبر خسارة كبيرة لهذه القوة. وقد أعلنت الأمانة التنفيذية لمجموعة دول الساحل أنها ("تدعم بشكل كامل المرحلة الانتقالية المعلنة في تشاد إثر وفاة الرئيس إدريس ديبي الذي كان يتولى الرئاسة الدورية للمجموعة" ... الجزيرة ٢٢/٤/٢٠٢١) فتشاد مرشحة لاشتداد الصراع الدولي عليها، وكانت أمريكا قد تمكنت في ثمانينات القرن الماضي من شراء حسين حبري، فدخلت تحت النفوذ الأمريكي، ثم خسرت نفوذها عندما قلبه ديبي، ولكنها لا تتوقف عن المحاولات للعودة...

٧- إن أمريكا كانت تراقب حركة التمرد منذ انطلاقتها في ليبيا، وقد أعلنت يوم ١٨/٤/٢٠٢١ أن "جماعات مسلحة غير حكومية شمالي تشاد تحركت نحو الجنوب باتجاه إنجامينا، ونظرا لقربها من العاصمة واحتمال اندلاع أعمال عنف في المدينة صدرت أوامر لموظفي الولايات المتحدة غير الأساسيين بمغادرة تشاد على متن رحلة طيران تجارية" ... الجزيرة ١٨/٤/٢٠٢١) وبعد مصرع الرئيس التشادي أعلنت على لسان المتحدث باسم خارجيتها نيد برايس يوم ٢٠/٤/٢٠٢١ أن "واشنطن تريد أن ترى انتقالا للسلطة في تشاد يتوافق مع دستورها بعد مقتل الرئيس ديبي يوم الإثنين"، وقال "إن سفارة الولايات المتحدة في تشاد لا تزال في حالة المغادرة المفروضة اعتبارا من ١٧ نيسان" (رويترز ٢٠/٤/٢٠٢١). وفي اليوم التالي قال المتحدث باسم وزارة الخارجية: "إن واشنطن منزعجة للغاية من العنف في تشاد في

أعقاب وفاة الرئيس ديبى وتشعر بالقلق من أي شيء يعترض الانتقال الديمقراطي للسلطة هناك.. وإن واشنطن تراقب من كتب الوضع السياسي في تشاد" ... فرانس برس ٢١/٤/٢٠٢١). وهكذا فإن أمريكا تعمل لتقريب موعد الانتخابات وتسمي ذلك بالانتقال الديمقراطي للانتخابات لتهيئة الأجواء لتوصيل المعارضة للحكم وإنهاء النفوذ الفرنسي.

٨- لقد أشارت وسائل إعلام عديدة عن علاقة المتمردين التشاديين بقوات حفتر عميل أمريكا، وهي ليست جديدة بل هي من قبل، فقد نقلت رويترز في ١٢/٢/٢٠١٩ عن وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لو دريان قوله: (واستجابة لطلب من ديبى قصفت طائرات حربية فرنسية قافلة مدججة بالسلاح للمتمردين عبرت الأسبوع الماضي من ليبيا وتوغلت في الأراضي التشادية. وقال لو دريان لأعضاء البرلمان "الرئيس ديبى طلب منا كتابة التدخل لمنع وقوع انقلاب وحماية بلاده"). ولأن هذه الأخطار التي يدفع بها عميل أمريكا حفتر باتجاه تشاد حقيقية فإن فرنسا تنشر قوة كبيرة في العاصمة التشادية للدفاع عن عميلها إدريس ديبى ناهزت خمسة آلاف! ونقلت الجزيرة يوم ٢٢/٤/٢٠٢١ عن مصدر أن "المعارضة المسلحة نقلت معظم معسكراتها من الحدود مع ليبيا إلى داخل تشاد وأن فصائل معارضة من ضمنها المجلس القيادي لإنقاذ الجمهورية التشادية تستعد لمغادرة مواقعها في الأراضي الليبية والانتقال إلى داخل الأراضي التشادية بعد ساعات".

٩- ومن هنا يتضح أن تشاد مرشحة إلى احتدام الصراع بين قوات النظام والقوات المتمردة، إذ إن الطرفين مرتبطان بقوى أجنبية استعمارية متنافسة وهما فرنسا وأمريكا، فالمسكون بالسلطة ليس بالسهولة أن يتنازلا وهم يرون أن مصيرهم مهدد وأن وراءهم دولة استعمارية كفرنسا تدعمهم من أجل المحافظة على نفوذها واستعمارها في بلادهم، فهي عامل مساعد لهم للدفاع عنهم في سبيل خدمتهم لمصالحها الاستعمارية في وسط وغرب أفريقيا، بينما المتمردون الطامعون في الوصول إلى السلطة تدعمهم دولة استعمارية كأمریکا تسعى لبسط نفوذها في تشاد والمنطقة. فبلاد المسلمين ساحة صراع بين المستعمرين، وأبناؤهم وقود لنار هذا الصراع، وثرواتهم تذهب للمستعمر، ويقتون يعانون الفقر والحرمان وتفشي الأمراض. ولا خلاص للمسلمين في تشاد الذين يكتوون بنار الصراع الدولي على بلادهم، إلا بتحرك المسلمين في شمال أفريقيا والسودان لإقامة حكم الإسلام في بلادهم وتوحيدها ومن ثم التحرك نحو بلاد أفريقيا الأخرى لتحريرها بلدا بلدا من ربة المستعمر. فوجب على المسلمين نصره العاملين من أبنائهم المخلصين الواعين والساعين لإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

في الثالث عشر من رمضان ١٤٤٢ هـ

٢٥/٤/٢٠٢١ م